IQBAL REVIEW (65: 1)
(January – March 2024)
ISSN(p): 0021-0773
ISSN(e): 3006-9130

التأثير العربي في ثقافة محمد اقبال (شاعر الشرق)

الدكتورمحمد ابو ذر خليل
الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية،
جامعة بهاء الدين زكريا، ملتان

ABSTRACT

The poet of east Allama Muhammad Iqbal is a worldwide reputed poet. His celebrity and popularity not only reached the western world by extending through the bounds of Indo-Pak-continent but also Iqbal had been read and well understood by the Arabs like other nations over the world. On this account, Iqbal is acknowledged as a poet as well as a thinker over the whole Arab.

This study has been divided into five parts. In the beginning, there is a brief preface in which the aims and objectives of this essay have been vindicated. After this, the following points have been illustrated:

i. Influences of Arabic literature on personal life of Iqbal.
ii. Influential effects of Arabic literature on the educational and literary creations of Iqbal.
iii. Iqbal and Arabic as the progressive language.
iv. Iqbal and the Arabic world.
v. Iqbal and Arabic poetry.

Keywords:
الفلسفة الذاتية، والأدب العربي، الشعر الإسلامى

مقدمة البحث:

صلتى بمحمد إقبال (شاعر الشرق) تبدأ بقراءتي له في شعره:

مرا ساز اگرچہ ستم رسیدۂ زخم ہائے عجم رہا
وہ شہید ذوق وفا ہوں میں کہ نوا مری عربی رہی

ماترجمته:

مع أن موسيقتى بقيت مظلومة من جروح العجم
فـأنا شـهيد لـذة الوفـاء، ولم يـزل لحـني عربيـا[1]

ترددت طويلا عند تلاوتى لشعره المذكور أعلاه، واستفسرت لنفسى قائلا: هل توجد العلاقة مابين إقبال واللغة العربيه؟ وزادني شكا بالنسبة لهذة العلاقة ما سبقت لى قراء تى له في شعره منذ الصبا في المقررات المدرسية، فما وجد تها إلا باللغة الأردية أوالفارسية، وكما وجدت معظم أعماله النثرية باللغة الإنجليزية والأخرى بالأردية، فطالت لي هذه الفكرة حتى أنى قدوصلت إلى مرحلة الماجستير في اللغة العربية و آدابها، وفي السنة النهانية من هذه المرحلة قد أتيحت لي الفرصة لحل هذه المشكلة التى كانت تلازمنى منذسنين طوال، فها قد تم لي الخيار على الموضوع الذى كنتُ متحيرا فيه، بل يمكن لي أن أقول: متشككاً فيه، هل لمحمد إقبال (شاعر الشرق) له علاقة باللغة العربية وآدابها؟ وازداد هذا التحير عن تلك العجبة التي وجدتها عند بعض المتخصصين (بزعمهم) في الدارسات الإقبالية، الذين استفسروا منى خلال مقابلاتي بهم الشخصية، هل كان إقبال على معرفة بالعربية، ومتأثرا بآدابها؟ أما كان إقبال متأثراً (هيجل) في رأيه عن (أنا) في فلسفته الذاتية (Ego) ؟كما كان مائلاً إلى مذهب (نيتشه) في فكرته (سوبر مان) أى الإنسان الكامل۔

مثل هذه الأسئلة أنها مازادتني إلا تشوقا ورغبة في المزيد من البحث في مصادر شعر إقبال والتأثيرات الأجنبية في أدبه على العموم والعربية على الوجه الخصوص۔ وعلى صعيد آخر لاسبيل لأدنى شك في أن إقبال قد درس الآداب الغربية واستفادها

وطبق أصولها في حياته الأدبية من الجهة العلمية والمنهجية، ولكن هذا لايثبت عدم تأثره بالآداب العربية- عندالقيام بالبحث في الموضوع، وجدت ألوفاً من الأدلة التى ترشدنا إلى صلات محمد اقبال باللغة العربية وتأثرأدبه بآدابها-

دراستي هذه تعالج هذه المشكلة من خلال سيرته الذاتية وأعماله الشعرية وآثاره الأدبية، لأنها خير دليل على مانحن بصدده في هذا المقال-

I

تأثر محمد اقبال باللغة العربية و آدابها من خلال سيرته الذاتية:

يقولون إن السيرة الذاتية هي خير دليل على شخصية الرجل وعقليته، إذن نبحث صلة محمد إقبال باللغة العربية و آدابها من سيرته الذانية، فنجد أول مانجد أنه قدولد في أسرة متدينة، ومن المعلوم أن الأسرة التى تنسب إلى الدين لابد أن يكون لها علافة وثيقة بالقرآن، والقرآن باللغة العربية وكذلک بقية الأصول الدينية فكلها بالعربية، فكيف لايمكن التأثير لهذه الأصول في الأسرة التي كانت لها الشهرة في التصوف التقليدي، يقول في هذا الصدد الأستاذ عبدالوهاب عزام: (يرجع نسب أسرة محمد اقبال إلى براهمة كشمير، أسلم أحد أجداده قبل ثلاثة قرون في عهد الدوله المغولية، كبرى الدول الإسلامية التى قامت في الهند، أسلم هذا الجد على يد الشيخ شاه همدانى أحد أئمة المسلمين في ذلک العصر)- [٢]

ويقول في أحد أحداده الذى كان مولعاً في التصوف حيث قد ألف فيه كتبا: (حل محمد رفيق في سيالكوت ومعه اخوة ثلاثة أحدهم الشيخ محمد رمضان وكان صوفيا ألف كتبا كثيرة باللغة الفارسية-) وبعد ذلک يقول في أبيه الذى قد ترک أثراً كبيرا في حياته: (فأما أبوه فكان متصوفا عاملا كادحا في كسب رزقه يعمل لدينه ودنياه---- ويؤثر عنه أنه قال لإقبال، حين رآه يكثر قراء ة القرآن: إن تفقه القرآن فاقرأه كأنه أنزل عليک-)[٣]

وفي ذلک يقول (إقبال): (---- ومنذ ذلک اليوم بدأت أتفهم القرآن و أقبل عليه، فكان من أنواره ما اقتبست ومن بحره مانظمت----)[٤]

في مثل هذا الجو الروحي قدنشأ وترعرع محمد إقبال، وأن علماء النفس يقولون: إن فترة الطفولة هي التي تحدد مستقبل الإنسان، وإذا كانت فترة الطفولة مثل ماكانت لإقبال، فإنها في الواقع قد أثرت في شخصيته التأثيرات العجيبة وتركت في نفسه خطوطا عريضة وعميقة، وأوضحت الطريق للخطة التى آمن بها، وثمرات هذه التأثيرات نراها في مستقبل حياته۔

أول مابدأ إقبال رحلته العلمية بذها به إلى مكتب تحفيظ القرآن حسب التقاليد السائدة آنذاک في البلاد الإسلامية وخاصة في شبه القارة الهندية، يقول الدكتور عزام: (بدأ إقبال التعليم في طفولته على أبيه، ثم أدخل مكتبا ليتعلم القرآن، لاندرى كم حفظ من القرآن۔ لاندرى كم حفظ إقبال من كتاب الله في طفولته، ولاريب أنه حفظ منه في هذا السن وبعده، إذكان في كبره يعلم القرآن، وكثرة اقتباسه من القرآن في شعره تدل على أن القرآن على قلبه ولسانه۔)[۵]

ثم التحق إقبال بالمدرسة العصرية الحديثة تحت رعاية الأستاذ الجليل (ميرحسن) الذي كان صديقا لأبيه، وكان أستاذا متضلعاً في الأدب الفارسي عارفا بالعربية، يصف الأستاذ الندوي ماترک هذا الأستاذ من مآثر على تلميذه الذكي من حب العلم والمعرفة قائلا: (ـــــ حيث تعرف بالأستاذ السيد (مير حسن) أستاذ اللغة الفارسية والعربية في الكلية، وكان من نوادر المعلمين الذين يطبعون تلاميذهم بطابعهم، ويبعثون فيهم ذوق العلم، فأثر في الشاب الذكي كل تأثير، وغرس فيه حب الثقافة و الآداب الإسلامية، ولم ينس إقبال فضله إلى آخر حياته۔)[۶]

الحب الذى قد غرسه أستاذه قد أخرجه من ذوى أرحامه وأقاربه، وخرج مهاجراً في سبيل المعرفة وعشق العلم، طالبا المزيد في هذا الباب قاصداً إلى مدينته (لاهور) مركز العلم والثقافة آنذاک وحاضرة إقليم بنجاب وإحدى مدن الهند الكبرى۔ يقول الأستاذ الندوى: (ولما قضى وطره من الكلية سافر إلى لاهور، عاصمة بنجاب، وانضم إلى كلية الحكومة حيث حضر الإمتحان الأخير في الفلسفة، وبرز في اللغة العربية والإنجليزية ونال وسامين۔۔۔۔)[۷]

ومن حسن حظ إقبال بأنه كانت الأوضاع مهيئة له خلال إقامته بمدينة (لاهور) حين وفق له اللقاء بالأستاذ الفيلسوف والخبير باللغة العربية وآدابها، وهو من خيرة من درسوا الإسلام والتصوف الإسلامي، وهو الأستاذ المستشرق (سرثامس آرنولد)، ويقول فيه الأستاذ الندوى: (وفي لاهور اتصلت اسبابه بالأستاذ الإنجليزي الشهير ''سرثامس آرنولد'' صاحب كتاب ''دعوة الإسلام'' The Preaching of Islam وعميد الكلية الإسلامية في علي كره سابقا-)[٨]

وكمايصفه الدكتور عزام قالا: (وكان أستاذ العربية في جامعة لندن ثم أستاذ الفلسفة في جامعة عليكره، وكان واسع العلم ثبتا متواضعاً منصفا نصيراً للمسلمين محبا للحضارة الإسلامية-)[٩] بعدما أتم إقبال دراسته بكلية لاهور الحكومية نال شهادة الماجستير في الفلسفة بجامعة بنجاب وعين باحثاً في اللغة العربية (*عربک میکلوڈ ریڈر*) في الكلية الشرقية بمدينة لاهور-

ثم رحل بعد ذلک محمد إقبال إلى أوربا للدراسات العليا حيث نجده فيها آخذاً بناصية اللغة العربية حينما قام بتدريسها في جامعة لندن، يقول في هذا الصدد الأستاذ الندوي: (ومكث في عاصمة الدولة البريطانية ثلاث سنين، يلقى محاضرات في موضوعات اسلامية، أكسبته الشهرة والثقة، وتولى في خلال تلک المدة تدريس آداب اللغة العربية في جامعة لندن-)[١٠]

كما يستدل بهذا على معرفته بالعربية الدكتور عزام قائلا: ((وكان الأستاذ آرنلد حينئذ أستاذ العربية في جامعة لندن واضطر إلى الإنقطاع عن عمله ثلاثة أشهر فاختار إقبالاً ليخلفه في عملهوترشدنا الآثار التأريخية إلى أن الأستاذ الذى قد ترک أثراً كبيراً على شخصية إقبال كان هو الأستاذ (توماس آرنلد)-[١١]

وبعد عودته من أوربا واصل رحلته العلمية بقيامه مهنة التدريس في كلية لاهور الحكومية، والمواد التى قدتم الخيار لتدريسها من قبله، هي الفلسفة والأدب العربي والإنجليزى، يقول الأستاذ عزام: (رجع إقبال إلى التدريس في كلية الحكومة التى تخرج

فيها، والتى درّس بها من قبل، فعلمَّ الفلسفة والأدب العربي والأدب الإنجليزي وكان راتبه منها خمس مائة روبية)۔[۱۲]

وهكذا تدلنا الوثائق التأريخية المتعلقة بترجمة محمد إقبال وسيرته الذاتية على صلاته الوثيقة باللغة العربية وآدابها من بداية رحلته العلمية بذها به إلى الحوذة الدينية منذ نعومة اظافره، وتنتهى هذه الرحلة بقوله الذى قاله إقبال قبل موته بنحو عشر دقائق:

سُرودِ رفتہ باز آید کہ ناید
نسیمی از حجاز آید کہ ناید ؟[۱۳]

وترجمه الدكتور عزام:

نغمـــــات مضـــــين لي هـــــل تعـــــود؟
أنســـــيم مـــــن الحجـــــاز يعـــــود[۱۴]

II

تأثر محمد إقبال باللغة العربية وآدابها من خلال آثاره العلمية والأدبية:

قد مربنا في سالف الذكر بأنه قد تأثر محمد إقبال باللغة العربية وآدابها من خلال سيرته الذاتية، وكما ذكر آنفاً بأن جميع الوثائق التأريخية المتعلقة بترجمة حياته ترشدنا إلى مانحن بصدده بتأثر محمد إقبال بالآداب الشرقية وعلى رأسها الأداب العربي۔

وما لاسبيل لأدنى شک في أن الأمم الغالبة أو الحاكمة أنها تؤثر في الأمة المغلوبة علمياً وثقافيا و سياسياً، وخاصة في أفراد تلک الأمة الذين اعتنقوا ديانة الأمة الغالبة، فلذا نجد أن غير العرب من فرس وغيرهم من الهنود والأتراک الذين اعتنقوا الإسلام حملوا تراث الإسلام خاصا من طابعهم يتجلى في كثير من مناحيه واضافوا اليه، وذيلوا عليه، فكان المؤلفين والمفسرين والمترجمين، منهم من ابتدع ومنهم من اتبع، فضلا عن هذا اعتقادهم بقداسة العربية لكونها لغة القرآن الكريم، فيقول الثعالبي، في أفضيلة اللغة العربية مذكراً بوجه الحاجة إلى معرفتها: ''إن العربية نزل بها أفضل الكتب على أفضل العرب والعجم، ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للايمان، اعتقد أن العربية خير اللغات والإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي مفتاح تفقه في الدين وأداة العلم،

سبب إصلاح المعاش والمعاد، ولولم يكن التبحر فيها إلا قوة اليقين في معرفة اعجاز القرآن- وإثبات النبوة لكفى ذلک فضلا---''[١٥]

ويقول: ''إن من أحب الله أحب الرسول ومن أحب النبي العربي أحب العربومن أحب العرب أحب اللغة العربية ومن أحب العربية فكأنه قد دخل في آدابها---''[١٦]

ومن المعلوم أن تراث العرب و آدابها قد شكل الجانب الجوهري من ثقافة غيرهم من فرس والأتراک العثمانيين والهنود الذين بلغوا بتراث الإسلام إلى مالا مذهب وراءه، كما أنه مشرق الدلالة على امتزاج أدب العرب بأدب الفرس والأتراک والهنود، فتسبب هذا اللقاء والإمتزاج بتقديم الجديد من معارف في مجال الفكر والأدب للإنسانية جمعاء-

ومن هنا تتضح الصلة بين آداب العرب وبين الترک الفرس وغيرهم من المسلمين غير العرب، ونرى كيف تسببت هذه الصلات في تشكيل كيان الحياة العقلية والروحية والأدبية لديهم، وكان الفضل كل الفضل للقرآن ولغته وآدابها، وخاصة في تطوير تأريخهم الأدبي، وذلک لأن شعرآء العرب و أدباء هم قد تركوا أثرا عميقا في شعراء الفرس وأدباء هم، ثم إن هذا الأثر قد انتقل إلى الأردية من الفارسية، كما يقول في هذا الصدد المستشرق الألماني (غارسيا غورس): ''إن الشعر الإسلامى كله مصطبغ في صبغة مقالات وأفكار شعراء العربية-''[١٧] ومما لا شک فيه أن الموضوعات المرغوبة فيها لدى الشعراء العرب قد أثرت كثيرا على الشعراء الإسلاميين من غير العرب والشعرآء غير المسلمين أيضا

وكان محمد إقبال (شاعر الشرق) من آحاد الذين نشأوا في جو غير عربي ولكن تأثروا باللغة العربية وآدابها لعدة أسباب منها ما ذكر تها في سالف الذكر من هذا المقال، والبعض الآخر سأذكر ها فيما يلى- يقول الدكتور حسين مجيب المصري:

''فجرت عادة المتعلم والمتأدب في بلاد الهند والفرس والترک بأن يدرس العربية على أنهالغة القرآن والحديث والشرع، كما أنها أعظم اللغات الإسلامية في الأهمية-''[١٨]

هكذا نجد شاعرنا محمد إقبال أنه قد بدأ حياته العلمية بقراء ة القرآن و دراسة اللغة العربية في صغر سنه حسب عادات المسلمين وتقاليد هم في بلاد الهند، وكان

ولوعاً بالأدب العربي منذصباه، لأنه قد تعلم اللغه الفارسية والعربية على يد الشيخ شمس العلماء السيد ''مير حسن'' رحمه الله۔ الذي سجل فيه ''سر عبدالقادر'' في مقدمة كتاب بانگ درا ''صلصلة الجرس'' آراء ه قاتلاً: ''إن من خواص التتلمذ عليه أنه من يتعلم على يده اللغة العربية أو الفارسية فإنه يولدفي طبعه وسجيته الذوق الصحيح عن هذه اللغة۔''[۱۹]

تعمق وتمهر إقبال في لغتى الفارسية والعربية وبجانبها تعلم اللغة الأردية حق التعلم والإنجليزية كذلک، والحق أن العربية قدسرت في روح إقبال وحببت اليه ايماحب، لأن العربية علاقتها مع العرب، والعرب مرغوب فيهم لمكانة نبي الله صلى الله عليه وسلم۔ من بين معشرهم، يقول في هذا الصدد الدكتور المصرى: ''فلغة العرب كانت من مقومات ثقافة إقبال وأثرت التأثير الأعمق في فارسيته وأرديته--- ويقول: ولقدمر بسمعي أثناء مقامى بلاهور، أنه اشتغل بتدريس اللغة العربية، وتمنى لوكان في قدرته أن يعالج النظم بلغة الضاد۔''[۲۰]

ظهرت الآثار العربية في شعر إقبال في مظاهر متنوعة، فكان بعض كلامه واضحا و صريحا، وصار البعض الآخر لم يعدو عن كونه شيئا في الخيال، فيقول الدكتور سمير عبدالحميد ابراهيم: ''يظهر الأثر العربي في كلام إقبال بطرق مختلفة، فبعضه واضح و صريح وبعضه بالإشارة والتلميح والبعض الآخر يظهر من خلال الصور الخيالية في الشعر۔''[۲۱]

الدراس في آثار إقبال الأدبية والعاكف في أعماله العلمية إنه يجد هذه التأثيرات العربية منثورة في جميع إنتاجه سواء كانت علمية أو أدبية۔

III

إقبال وحبه العربية كلغة متطورة:

فأول مانجد من هذه التأثيرات العربية فإنه كان محبا للغة العربية ومعجباً لآدابها وما دحاً لأصحابها۔ أما اللغة العربية وحبه بها كلغة متطورة، فإنه كان يعشقها ويعتبرها لغة قوية لها خصائص من الناحية العلمية والثروة اللغوية التي لا توجد لأية لغة أخرى،

ولها قدرات تعبيرية تفوق قدرات أية لغة أخرى، فيقول: ''والقرآن صريح في إظهار وظيفة النفس أو الروح في التدبير ''يسألونک عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلاقليلا''۔ (الإسراء: ٨٥) ولكى نفهم معنى كلمة (أمر) ينبغى أن نذكر التفرقة التى يقيمها القرآن بين (الأمر) و (الخلق) إن برنجل باتيسون (Pringle Patision) يبدى أسفه لأن اللغة الأنجليزية ليس فيها إلا كلمة واحدة بمعنى (الخلق) تعبر عن العلاقة بين الله وبين عالم المادة من ناحية، وبين الله والنفس الإنسانية من ناحية أخرى، ولكن اللغة العربية أسعد حالا في هذا المقام ففيها كلمتان: (الخلق) (الأمر) تعبران عن الطريقتين اللتين تتجلى لنابها الذات الإلهية فالخلق هو الإيجاد أوالتقدير، والأمر هوالتعريف أو التدبير۔ كما جاء في القرآن (ألاله الخلق والأمر)۔ ومعنى الآية الأولى التى ذكرنا هاهو أن الطبيعة الأساسية للروح هي التصريف أو التدبير لأنها تصدر عن قوة الله المديرة، وإن كفالا نعلم كيف يتصرف (الأمر) الإلهى في شكل وحدات روحية وضمير المتكلم في كلمة (ربي) يلقى مزيداً من الضوء على طبيعة الروح يجب أن تعد أمراً فرداً و متميزا، مع كل ما في وحدة الروح من تفاوت المدى والاتزان والتأثير۔''[٢٢]

ولذا نجد محمد إقبال معارضاً الأعجمية ومبغضا لها لما لها من نقائص، وحببت اليه العربية لمالها الإكمال من الناحية اللغوية، كما أنه لايجد في بستان العجم ريح الحياة أبداً، ولأجل هذا يؤكد على كل شاعر و أديب بأن لايضيع مساعيه في الأدب الأعجمى، بل ينصح له أن يركز جميع مساعيه على اقتطاف الأزهار عن لسان العرب وبيئتهم، ويفوض قلبه نخوسلمى العرب، حتى يطلع فجر الحجاز بعد ليل الكرد۔ يقول:

فکرِ صالح در اَدب می بایدت
رجعتی سوئے عرب می بایدت
دل بہ سلمائے عرب باید سپرد
تا دمد صبحِ حجاز از شامِ کرد

از چمن زارِ عجم گل چیدۂ
نو بہارِ ہندو ایران دیدۂ
اندکی از گرمیٔ صحرا بخور
مادہ دیرین از خرما بخور[۲۳]

وشاعرنا محمد إقبال في ديوانه اسرار خودی (معرفة الذات)، حينما يعرض المستوى لمعرفة المكائة الصحيحة للشعر والأدب، فإنه يرغب في العودة إلى العربية، وينقل في هذا الصدد قول الشيخ حسام الحق ضياء الدين حيث قال: ''أمسيت كرديا و أصبحت عربياً'' رغم أن إقبال لم يقل شعرا بالعربية لكنه يصرح بأنه كان يميل بكل طموحاته إلى العرب، والدال عليه ما قاه تجاه العربية:

مرا ساز اگرچہ ستم رسیدۂ زخمہائے عجم رہا
وہ شہید شوق وفا ہوں میں کہ نوا مری عربی رہی[۲۴]

ويقول:

عجمی خُم ہے تو کیا ، مے تو حجازی ہے مری
نغمہ ہندی ہے کیا ، لے تو حجازی ہے مری[۲۵]

IV

إقبال والعرب:

رغم أن شاعرنا محمد إقبال أجاد الفارسية والأردية أكثر من العربية إلا أن العربية تغلغلت كثيرا في روحه، فالعربية متعلقة بالعرب، والعرب أعزاء عليه وقد أوجد هذا نصيبا من الحب في قلبه وفي عقله مما أثر على بيئته الذهنية، ومن يدرى فقد تكون حركة تسلسل الحياة في الجزيرة العربية وما فيها من حركة دائمة عاملا هاما وأساسيا في بناء النظام الفكرى العام للشاعر محمد إقبال، لأنه كان يعتقد فيهم ويقول عنهم صريحا بأنهم هم الذين يوصفون بوصف موجدى التمدن، وخالقوا القوانين العالمية،

خصص محمد إقبال قصيدة من أبدع قصائده للحديث مع الأمة الإسلامية، ليسجل فيها فضلها و سبقها فى حمل الرسالة الاسلامية والأخذ بيد الإنسانية وافتتاحها لتأريخ جديد و فجر سعيد۔[٢٦]

ويقول عن المتجولين في الصحراوات من العرب بأنهم عالميون، وقادة العالم وعارفون باسرار العالم وهم يلبون مقتضيات هذا العالم، فيصرح إقبال بأن شجرة التطور الحديث في العصر المزدهر اخضر بالدماء العربية، وكان يعتقد في الغاد والرائح في الصحراء بأنه هوالذي يصون الفطرة السليمة ويحافظ عليها، وبناء على ذلک يرجو أن يستيقظ هذا الأسد الصحراوي من غفلته مرة أخرى، ويمدحهم قائلا: إن هذا الذي نهض من الجبال وهزم روما في العهد الماضي۔

ويزداد المرء ولعاً و شوقا عندما يلفت النظر إلى ما أدمج إقبال في شعره روح الأدب العربي۔ حينما ينقل القارى المطلع على شعره إلى الجوالعربي الخالص من خلال تشبيهاته واستعاراته وتلميحاته الكثيرة والصور الخيالية في شعره، ولا يسعنى هنا إلا أن أوضح بأننا لسنا في هذا المقام بصدد تأثر إقبال بكتاب الله وبحديث المصطفى ﷺ فإنه موضوع مستقل، أود أن أقدم هنا فقط فحوى ماقاله في دايونه بانگ درا (صلصلة الجرس) من قصيدة عنوانها (خضرراه) يسأل فيه الشاعر عن الخضر قائلاً: لماذا هجرت العمران ورضيت لنفسک بالعيش في الصحراء، فأجاب الخضر عليه السلام۔ لماذا تتعجب على حياتي الجبلية والقاعية، فإن هذا هو الدليل على دوام الحياة، فأنت ياساكن البيت لم تلاحظ جوا تنتشر فيه اجراس القوفل في القاعات الواسعة، وهناک تسير في الأطلال قوافل الآبال والحصان بلا مبالاة بشئ، وهذا التحضر فليس بامكانه مثل هذه المشاهد وملاحظتهاله، لأنه عديم الزاد۔

V

إقبال والشعر العربي:

وكان شاعر الشرق محمد إقبال دائمايعاند الأعجمية في مقابل العربية، وكان ولوعا بالآداب العربية وخاصة الشعر العربي، وإذا نتصفح انتاجه الأدبي فنجد هذا

الإعجاب خلال أعماله العلمية وآثاره الأدبية كما مرهنا قبل قليل، وازداد هذا الولع والإعجاب بزيادة العمر و مرور الزمان، وذلک لأن فكرة إقبال كانت متطورة وذاحركة، إذن يمكن لنا أن نوزع انتاجه الأدبي إلى أربع مراحل ومن خلالها يظهر جليا التأثير العربى۔

المرحلة الأولى:

تبدأ من نظم شعره وحتى سنة ۱۹۰۵م، في هذه المرحلة كانت فكرة الوطنية تغلب شعره، مثل النشيد الهندي؛ ومنظومة؛ هذا هووطني؛ وما إلى ذلک من المنظومات المشتملة على ديوان ''بانگ درا'' أى صلصلة الجرس أو رنين الجرس، ولانجد فيه التأثير العربي اللهم إلا اليسير، يقول إقبال:

طالعِ قیس و گیسوئے لیلی
اس کی تاریکیوں سے دوش بدوش[۲۷]

ونفس هذه الفكرة عبرعنها شاعر عربي قائلاً:

صـــــدع الحبيـــــب وحـــــالي
كلامهـــــــــا كالليـــــــــالي

وابن بدرون هو الشاعر العربي الوحيد الذى نجد ذكره عند إقبال في ديوانه ''بانگ درا''۔

ومن أمثلة تأثر إقبال في هذه المرحلة بالأدب العربي رثاؤه على مزار الثقافة الحجازية ''سسلى'' الصقلية عند سفره لأوربا، ونظراً لأن الصقلية ظل مركز الثقافة العربية الحجازية لمدة كبيرة، بكى عليها إقبال كثيرا۔ وعندئذ يتذكر؛ سعدى؛ وداع ؛ فإن؛ سعدى؛ بكى دما على زوال بغداد، وبكى؛ داغ؛ على تدمير دهلى۔ وإن كانت رثاء مولانا حالي لايضاهيه أي رثاء في فرط الحزن وصدق الشعور، وقوة التأثير، وكذلک تحيط بإقبال ذكريات غرناطة، وحينئذ يتذكر إقبال ابن بدرون الذي رثى على سقوط غرناطة۔

وفي موضع آخر من ديوان ''بانگ درا'' نجده يقارن مابين ''حيدر''[٢٨] ومرحب؛ وعشرة ؛ الشاعر العربي من شعراء المعلقات السبع في باب الشجاعة والبطولة، ويقول:

نہ ستیزہ گاہِ جہاں نئی، نہ حریف پنجہ فگن نئے
وہی فطرتِ اسد اللہی، وہی مرحبی، وہی عنتری[٢٩]

وبإمكاننا أن نستنتج من هذا بأن شاعرنا محمد إقبال كان على معرفة على بعض أبطال العرب، ولكن من الصعب البحث عن توارد الأفكار للشعراء العرب في فكرة إقبال في ديوانه ''بانگ درا'' في هذه المرحلة من حياته الفكرية.

المرحلة الثانية:

من تفكير إقبال تبدأ من ١٩٠٥م وحتى عام ١٩٠٨م، وهي مرحلة تشتمل الأشعار التى نظمها أثنا إقامته في أو روبا، وتضمنت أشعاره نقداً للحضارة الغربية، وفي هذه المرحلة نجد فكرة إقبال قد تطورت من الوطنية إلى مرحلة الشعور الإسلامي والشعور بالأمة الإسلامية والإشادة بعظمة الإسلام، وتذكير المسلمين بقوتهم وعظمتهم في ظل تمسكهم بالدين الحنيف.[٣٠] نشاهد في هذه الفترة قلة الإنتاج الأدبي لعدة أسباب منها مشاغله التعليمية وتحضيره الدكتوراة.

المرحلة الثالثة:

وتبدأ من بعد عودته من أوربا و تعتبر هذه الفترة تغيير الخط الفكري، فتراجع عن القومية الهندية، واتجه إلى الأمة الإسلامية وقد نظم في هذه الفترة ديوان الاسرار و الرموز (اسرار خودى، رموز بيخودى) والجزء الثالث والأخير من ديوانه صلصلة الجرس ''بانگ درا'' ورسالة الشرق ''پيام مشرق'' وزبور العجم ''زبور عجم'' فديوانه رسالة الشرق لاداعي إلى فحص تأثر إقبال بالشعر العربي، وذلک لأنه جواب على (جوئتى) وأما ما قاله إقبال في زبور العجم مستخدما هذه القطعة التي تنسب إلى ثاني خلفاء بني أمية (يزيد) فدليل على تأثره بالشعر العربي، قال يزيد:

أنا المسموم ما عندي بترياق ولا راق
أدركأسا وناولها ألا أيها الساقي[۳۱]

فالقطعة الثانية من هذا الشعر قالها خواجه حافظ شيرازي بشئ من التغيير: ''ألا ايها الساقي أدر كأسا وناولها'' ويقول إقبال في زبور العجم:

دلِ گیتی ! أنا المسمومٌ أنا المسموم فریادس
خرد نالاں کہ ما عندی بترياق ولا راقی[۳۲]

يصف إقبال نبيَّ الإسلام ﷺ على لسان أبي جهل حينما يلتمس أبوجهل الغوث من زهير– الشاعر الجاهلي – على فشله و نجاح محمد ﷺ ويدعوه ليخرجه من القبر ويعينه يقول إقبال:

چشم خاصانِ عرب گر دیدہ کور
برنیائی اے زہیر از خاکِ گور
اے تو مارا اندریں صحرا دلیل
بشکن افسونِ نوائے جبرئیل[۳۳]

ويقتبس إقبال قطعة شعر امرى القيس في نيا حه على أبي جهل، ويقول:

اے ترا اندر دو چشمِ ما وثاق
مہلتے إن كنتِ أزمعتِ الفراق[۳٤]

وامرء القيس هذا يذكر فيه إقبال هذا القول الذى قاله فيه النبى ﷺ (هو أشعر الشعراء وقائدهم إلى النار) حيث يستدل به إقبال ضد امرئ القيس في مقالته بعنوان ''رسالت مأب كا أدبي تبصرة'' شاعرنا محمد إقبال يولى اهتمامه بهذا القول ولذا ذكره في مقدمة ''مرقع چغتائی'' ورده أيضا في خطابه الذى ألقى أمام حفل ''المنظمة الأردية'' المنعقد جلستها في مدينة ''كابول''۔

المرحلة الرابعة:

المرحلة الرابعة والأخير من مراحل تفكير إقبال تبدأ من عام ١٩٢٩م وتمتد إلى عام ١٩٣٨م الذى قدلقي فيه إلى رفيقه الأعلى، وتعتبر هذه الفترة التي قد نضج فيها فكر الشاعر، وقد نظم في هذه الفترة ديوانه الشهير رسالة الخلود ''جاويد نامه'' حيث قد تأثر فيه ''رسالة الغفران'' لأبي العلاء المعري الشاعرالعربي الشهير والفيلسوف الكبير في فكرة العروج إلى السماء والسير في الأفلاك، وكما تأثر إقبال بالمعري في امتناعه عن أكل اللحوم عندما قدم اليه طير مشوي، قال مخاطباله:

بأن عقوبة الضعف – ياطير – ليس إلا الموت المفاجئ تضمن إقبال فكرته هذه في منظومته التى وضع عنوانها باسم أبي العلاء المعري، ويقول ماترجمه الدكتور حازم محفوظ: [٣٥]

يقولون: إن'' المعرى'' كان لا يأكل اللحم
و إنه كان يعيش دائما على النباتات
فأرسل صديق اليه (طائر) سمان مشوي
لعل هذا الشاطر ''المعري'' ينهرم من هذا الترتيب
هذه المائدة الفخمة ، حينما رآها المعري
فبدأ يقول صاحب (كتاب) الغفران (و كتاب) اللزوميات
أيها الطائر المسكين، أخبرنى
ما كان ذنبک ، الذى هذا جزاؤه
وا أسفاه، إنک ما صرت الشاهين
و عينک لم تر إشارا الفطرة
إن فتوى قاضى القدر، منذا لأزل
(هى) إن جزاء جريمة الضعف هو الموت العاجل

ففى هذه الفترة قد نظم إقبال ديوانه جناح جبرائيل ''بال جبريل'' نجد في هذا الديوان جزء اًكبيراً يشتمل على الأشعار التى قالها إقبال متأثرا بالآثار الإسلامية

بأسيانية، وهذه أرض الأندلس التي قد تركت على قلب الشاعر أحاسيس عجيبة، لما كانت مدة من الزمن نموذجا للثقافة العربية، وهذا الولع الشديد من قبل إقبال يوجد في أشعاره عن مسجد ''قرطبة'' بأتم معانيه يخاطب فيها الشاعر المسجد على أسلوب الشاعر العربي، ومع أنه أنشد المنظومة في أسبانيا إلا أنه ساح في فضائها بذهن عربي، ولهذا ظهر النظم بمزاج عربي، وله طابع غزل مثل ''ذوق شوق''تماماً، وإن قوافيها مثل أسلوب الشعر العربي بدون رديف۔ فيقول إقبال مخاطبا مسجد قرطبة ماترجمته:

إن بناء ک قوي و أعمدتک (كثيرة) بلاحصر
وكأنها نخيل كثير في صحراء الشام
على بابک و سقفک نور الوادي الأيمن
مئذنتک العالية مقام تجليات جبريل

إن نشيد فتاة الريف، محروق و عادي وعهد الشباب، كالفيضان لسفينة القلب إن دماء الوادي الكبير الجاري، إن شخصا على ضفتک يحلم بزمن جديد۔

ويقول:

إن جلالک وجمالک مرشد أهل االله
فإنه (تعالى) الجليل والجميل، وأنت (ياجامع) الجليل و الجميل[۳۶]

مجرد إلقاء النظرة على شعر إقبال هذا يذكر الشعر الذى قاله عبدالرحمن الناصر:

إن النباء إذا تعاظم قدره
أضحى يدل على عظيم الشأن[۳۷]

وكما أدى نفس هذا المعنى أبو فراس قائلا:

صنائع فاق صانعها وفاقت
وغرس طاب غارسها فطاب[۳۸]

ثم إن هذه الأبيات قالها في أسبانيا، ولكن غلبة الفكر العربي والثقافة العربية على ذهن إقبال قدصار طابع القصيدة عربيا، ولم يؤثر عليها جوأ سانيا، حيث أنه قدشبه فيها أعمدة المسجد بكثرة النخيل، ثم كان التشبيه هذا بنخيل الشام، وكان يجدر

بالنخيل هذه أن تنسب إلى الشام لأجل أن باني مسجد قرطبة (عبدالرحمن الداخل) كان قدجاء من قبل الشام، وهو الذي غرس أول شجرة للنخلة في الأندلس في مدينة الزهراء.

وكذا قال عبدالرحمن هذا أشعاراً التي ترجمها محمد إقبال إلى الشعر الأردي مع تصرف، فيقول ماترجمته بالعربية:

أنتِ نور عيوني
أنتِ سرور قلبي
وأنا بعيد عن وطنى
فأنت لى بمثاته نخل (جبل) الطور
لقدر باک هواء الغرب
و أنتِ حور (من) صحراء العرب[٣٩]

ونادى إقبال مخاطبا لمسجد قرطبة باسم حرم قرطبة حسب ماهو معتاد لدى العرب نظراً إلى عظمته ووسع موقعه. وكان ابن المثنى شبه مسجد قرطبة بالحرم المكي في أشعاره التي قالها قبل شعر إقبال بمئات السنين.

بنيت لله خيربيت
تخرس عن وصفه الأنام
حج إليه من كل أوب
كأنه المسجد الحرام
كان محرابه إذا ما
جف به الركن والمقام[٤٠]

إن الجو السائد لمسجد قرطبة جعل ذهن إقبال و فكره ينتقل منه إلى ما أحكم الله من نظام دائم لتصريف الكون. وهو امعان نظره في أسباب انحطاط الملل والنحل أو رقيها وازدهارها، وراجيا في ظلمات اليأس والقنوط يخاطب النهر الكبير قائلا:

آب روانِ کبیر، تیرے کنارے کوئی
دیکھ رہا ہے کسی اور زمانے کے خواب[۴۱]

وترجمته:

يا ماء الوادي الكبير الجاري
إن شخصا على ضفتک
يحلم بزمن جديد[۴۲]

فكان أبوبكر ابن اللبانة الداني المتوفى سنة ۵۰۷هـ قد سبق (إقبال) بذكر ''بنى عباد'' واقفا على شاطئى هذا النهر الكبير، مثل ما ذكره إقبال في المنظومة التي توجد في ديوانه جناح جبريل (بال جبريل)

حتى أنه قد وضع عنوان المنظومة باسمه ''معتمد کی فریاد قید خان ے میں'' أي استغاثة المعتمد في السجن، ويقول ماترجمته:

لقد بقي في الصدر، نواح بلا شرير
وانتهت الحرقة، ويكاد التأثير أن ينتهي
اليوم الرجل الحر، في السجن، بلا رمح وسيف
أنا خجل، وحيلى فشلت
القلب ينجذب بنفسه، نحوالسلسلة
لعلى سيفي كان من هذا الحديد
الآن أصبح سيفي ذوالحدين، قيد الي
إن خالق التقدير مستغن عني[۴۳]

المنظومة مأخوذة بمفهومها من أشعار ''المعتمد'' وكان ''المعتمد'' هذا ملک أشبيلية، وكان شاعراً عربيا، فسجنه يوسف بن تاشفين في عام ۴۸۴هـ ووضع في قدميه الأغلال وسجنه في مكان يسمى ''أغمات'' ويقع في وادى جبل أطلس في المغرب، وكان المعتمد يعرف بالجود والشجاعة والمروء ة والأدب وطلق الوجه، الأوصاف الحميدة التى رددها معاصروها من الشعراء ومن بعدهم بكل أسى وحزن۔

يقول ابن اللبانة جالساً على شاطئى هذا النهر الكبير الذى ذكره إقبال: أيها النهر أرى بخيالي، تسير سفن بنى عباد القادمة إلى البحر، ثم يخوض في الأفكار المحزنة من الرقي والإنحطاط، ويتذكر دفعة شأن بني العباس وبغداد الماضية، بل إن المنظومة التى قد سبق ذكرها فهي مأخوذة بمعنا ها من منظومات المعتمد نفسها، لأن له منظومات ترجمت إلى الإنجليزية ونشرت في سلسلة حكمة الشرق۔

ذكر إقبال حكام أسبانيا في صيغة عامة لإظهار الحب لهم، يقول:

ساقی اَربابِ ذوق، فارسِ میدانِ شوق
بادہ ہے اس کا رحیق ، تیغ ہے اس کی اصیل[٤٤]

حيث أن ابن اللبانة قصر في مدحه على بنى عباد فقط فيقول:

تبكى السماء بمزن رائح غادى
على ايهاليل من أنباء عبادى
على الجبال التي هدت قواعدها
وكانت الأرض منهم ذات اوتادى[٤٥]

فالقطعة التى قال فيها إقبال:

بادہ ہے اس کا رحیق، تیغ ہے اس کی اصیل

لاتصدر إلا من الشخص الذى قد تذوق اللغة العربية بقدر وافر۔وهكذا توجد لإقبال عدة منظومات في البلاد العربية، مثل أسبانيا وفلسطين والجزيره العربية، فيقول في أسبانيا ماترجمته:

يا أسبانيا، أنتِ أمين لدماء المسلمين
أنتِ في نظري معظمة للحرم الطاهر[٤٦]

ولإقبال منظومة شهيرة عنوانها ''الذوق والشوق'' نظم أغلب أشعارها في فلسطين، فيقول ما ترجمته:

في حرقة ذكر العرب ، وفي موسيقى فكر العجم
لا توجد مشاهدات عربية، ولا توجد خيالات عجمية[٤٧]

ويخص إقبال بالذكر الجزيرة العربية ويوجه حديثه إلى أهل الجزيره العربية في عدة رباعيات له بالفارسية تحت عنوان ''يا ابن الصحراء'' فيقول ماترجمته بالعربية:

حين هبط النور على الصحراء في الأسحار
غرد طائر على غصن النخيل
إقلع خيمتک وارحل يا ابن الصحراء
فلاحياة دون تذوق الرحيل
جعل الله العرب أدلاء للقوافل
الجسد والروح كلاهما محكم بهواء البادية
وسط الصحراء المترامية
ان ظهور الأمم
يكون من بين الجبال والأودية[٤٨]

وأما ديوانيه الاسرار والرموز ''اسرار خودى و رموز بيخودى'' فحينما يعرض المستوى لمعرفة المكانة الصحيحة للشعر والأدب فإن إقبال يرغب في العودة إلى العربية، ويوصي بالرجوع عن ترف العجم و رخاوتهم إلى خشونة العرب وقوتهم وجهادهم، فيقول ماترجمه الدكتور عزام:

من بفكر صالح في الأدب
ارجعن يا صاح شطر العرب
وسلمى العرب يا صاح اعشق
أطلعن صبح الحجاز المشرق[٤٩]

ويقول إقبال في ديوانه (رموز بيخودى) رموز نفي الذات:

رونق از ما محفلِ ايّام را
او رسل را ختم وما اقوام را[٥٠]

وترجمه الدكتور عزام:

محفل الأيام منايبسم

ختم الرسل بناو الأمم[٥١]

قال به إقبال نظراً إلى شعر البوصيرى:

لما دعا الله دا عينا لطاعته

باكرم الرسل كنا أكرم الأمم

وأشار إلى هذا البيت المذكور في هامش ديوانه، فثبت من هذا تأثر شاعرنا بأصول الآداب العربية في نثره ونظمه۔

نجد عند إقبال ذكر جبال ''أضم'' و ''كاظمه'' في منظومته الشهيرة ''ذوق و شوق'' فيقول ما ترجمته:

إن سجاب الليل ترک اللون الأحمر والأزرق

وإنه منح جبل أضم عمامة ملونة

إنه الهواء نقي من التراب، وزعف النخيل نظيف

و تراب نواح كاظمة، ناعم مثل الحرير[٥٢]

لا بد من الإشارة بأن مطلع هذه المنظومة لاتظهر محا سنها اللغوية والمعنوية إلا إذا أمعنا النظر فيها بمنظار الأدب العربي، يذكر إقبال ''جبال أضم وكاظمة'' وفي ذكرهما يقصد المدينة المنورة، لأن جبال ''أضم'' هي السلسلة الجبلية التي تقع في وديانها المدينة المنورة، و ''كاظمة'' قرية تقع على مقربة من البصرة، حيث ذكرها عديد من الشعراء العرب الجاهليين والإسلاميين كمقام لحبيبه۔

يقول الشاعر:

ألم يبلغک ما فعلت ظباه

بكاظمة غداة لقيت عمرا

وكذا جاء ذكر ''كاظمة'' و ''أضم'' عند الإمام البوصيري في القصيدة البردة، ويقصد بها المدينة المنورة، فيقول:

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة

أومضى البرق من الظلماء من أضم

ويقول آخر عن جبال ''أضم'':

بانت سعاد و أمسى جبلها الصرما

واحتلت الغور والا جراع من أضما[۵۳]

ورغم أننا على علم بأن معظم أشعار المنظومة ''الذوق والشوق'' قالها إقبال عن البيت المقدس، ولكن لا يخفى على أحد بأنه يجول في أشعاره ولو في عالم الخيال نواحي المدينة المنورة، كان يقلقله هجران المدينة، وولعه بزيارة حبيبه المصطفى، ويزداد دوما، كان يتشوق إلى ذلک حسرة، وهناک قرب روحي، وبعد جسدي كأنه التذاذ متشابک مع الإضطراب، أو اضطراب مشوب بلذة، فعلى كل كان أمام عينيه ديار حبيبه فحسب؛ فذكر الرماد واضماد النيران أو النيران الخامدةوقطع الجبال المشدده والخيم وما شابها فكل ذلک من موضوعات الشعر العربي أو التأثر بآدابه۔

وبعد الإطلاع على شعر إقبال يُعرف أن ولعه بالدين كان يزداد مع تقدم سنه، وبازدياد ولعه بالدين ازداد ذكره لكلمات مثل: الناقة المقام، السلسبيل، الطناب، الخيم، النخل أو النخيل، وما شابها، فعلى سبيل المثال قوله:

بہر جائے کہ خواہی خیمہ گستر

طناب از دیگراں، جستن حرام است[۵۴]

وقوله:

اِس سے بڑھ کر اور کیا ہو گا طبیعت کا فساد

توڑ دی بندوں نے آقاؤں کے خیموں کی طناب![۵۵]

ولا حظوا القطعة الواردة في المنظومة ''الذوق والشوق'' التالية:

قافلۂ حجاز میں ایک حسین بھی نہیں

نکلے تیری تلاش میں قافلہ ہائے رنگ و بو

مجھ کو خبر نہ تھی کہ ہے علم نخیل بے ربط

مامعناه: لايوجد (الإمام) ''والحسين'' في قافلة الحجاز و خرجت قوافل اللون والريح للبحث عنک۔

ماكنت أعرف، أن نخل العلم بدون رطب[٥٦] ۔

نلاحظ أن كلمة ''نخیل بے رطب'' من صميم اللغة العربية، يقال: ''أرطب النخل'' إذا نضج ثمارها۔ فنظر الشاعر في هذه المنظومة أنه لما كانت جوالقصيدة عربية فكان من اللازم أن يؤدى معانيها بمثل هذه الكلمات والألفاظ التى تكون لها علاقة وثيقة باللغة العربية، وهكذا نجد كلمه ''نخيل'' في قصيدة ''خضرراه'' وكذا في قصيدة ''ذوق و شوق'' ونفس هذه الكلمة نجدها في المنظومة ''مسجد قرطبة'' لأن طابعها مثل طابع المنظومة ''الذوق والشوق'' تماما، وإن قوافيها مثل أسلوب الشعر العربي بدون رديف۔

فجاويدنامه ''رسالة الخلود'' لإقبال تذكرنا ''رسالة الغفران'' لأبي العلاء المعري التي أملاها في سنة ٤٢٤هـ، وكتبها صاحبها في نثر فني رائع، صور فيها رحلته إلى الأعلى وسياحته في الجنة والنار، وبين فيها كيف غفر الله للأدباء والشعراء بوجه خاص، وإن كانوا عصاة ملحدين أوكفارا۔

وعلى صعيد آخر نجد شاعرنا محمد إقبال في ديوانه ''جاويد نامه'' رسالة الخلود أنه قد تأثر وبشكل عميق ''رسالة الغفران'' ليس في المضمون، فالمضمون إسلامي لاشک في ذلک، ولكن نجد التأثير والتشابه في الصور الفنية، والقالب الفني الجميل، أن ''جاويد نامه'' رسالة الخلود معراج فكر إقبال فكذا ''رسالة الغفران'' معراج فكر المعري، كلاهما يشتركان في فكرة العروج الخيالية إلى السماء وفيهما يصعدان إلى الأعلى، ويقومان بسياحة الجنة والنار ويلتقيان في عالم الأرواح بكبار الشخصيات اللذين قدماتوا وكانوا معروفين في زمانهم۔

وإقبال في (جاويد نامه) رسالة الخلود يحدثنا عن الدين والفسلفة والسياسة وعن الشعراء والأدباء فكذا نجدا المعري في (رسالة الغفران) فميد انه الدين والفسلفة والأدب۔

وهكذا نجد التشابه الكبيربين إقبال المعري في هذه الرحلة الخيالة إلى عالم السماء وحسبنا في هذا المقام من هذا المقال أن نذكر التشابه العجيب بينهما، إذا أن المعري في سفره إلى الجنة يلتقى الشعراء الجاهليين ويستفسرهم في الأمور الأدبية اللغوية، وعن بعض الأبيات المنسوية اليهم، ومن بينهم يلتقى بالشاعر الجاهلي (أعشى) ويسئله في حيرة عن دخوله الجنة، قائلا: ''أخبرنى كيف كان خلاصک مق النار وسلامتک من قبيح الشنار--- فذهب علي إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، هذا أعشى قيس قدروى مدحه فيک، وشهد أنک نبي مرسل، فقال: هلا جاء ني في الدار السابقة؟ فقال علي: قد جاء، ولكن صدته قريش وحبه للخمر، فشفع لى فأدخلت الجنة على أن لا أشرب فيها خمراً، فقرت عينياي بذلک---[۵۷]

صَبَنتِ الكأس عنا أم عمرو
وكان الكأس مجراها اليمينا

اگر این است رسمِ دوستداری
بدیوارِ حرم زن جام و مینا[۵۸]

وكذلک نرى في شعر إقبال في مواضع عديدة روح الشعر العربي، وأرى لو تقصينا أشعار المتنبي وأبي تمام وامرؤ القيس بإمعان النظر و درسناها بدقة لوجدنا آثار ذلک بكثرة، لأن التأثر بشئ أمر طبيعي، وأكدنا في مبدأ مقالتنا هذه، بأن الأدب الذي يدرسه أحد الدارسين، فإنه يترک له أثرا في ذهنه وفكرته، فمثلا يقول إقبال ما معناة:

إن ليل هذا الجبل والوادي صدر مظلم
ليس فيه طائر و لاموج ولا ماء
صار مضيئا من قنديل الراهب
حتى كأنک تظن أن الشمس قد طلعت[۵۹]

قد استخدم إقبال في شعره (قنديل الرهبان) فهذا التلميح قد استعاره من شعراء العرب، فامرؤ القيس رائد الشعر الجاهلي نجده، يقول:

تضئ الظلام بالعشي كأنها

منارة ممس راهب متبتل[٦٠]

لاحظنا كيف توحد اللفظ والمعنى وكذلک الفكرة عند كلا الشاعرين في شعر هما، بأن هناک ضوء ضئيل في صومعة راهب في ليلة ظلماء، وهذا الضوء الضئيل كمثابة المنارة لفاقد الطريق في ظلام الليل۔

ومثله يقول إقبال في موضع آخر حيث يتضح به تأثره بهذا المعنى:

گمان آباد ہستی میں یقین مرد مسلمان کا

بیاباں کی شبِ تاریک میں قندیل رہبانی[٦١]

يوجه إقبال نصحه إلى العرب في ضرورة استخلاصهم من عبودية الإنجليز، وقيول في مثنوي ''پس چه بايد كرد اى أقوام شرق'' اللآن ماذا نعمل يا أم الشرق:

از فریب او اگر خواہی امان

اشترانش را زحوضِ خود براں[٦٢]

مامعناهُ:

لو أردت النجاة من خداعة فأبعد جماله عن حوضک۔ ونفس هذه المعاني قد سبق به الشاعر العربى الحكيم۔

وتأثر إقبال بشعر ''بجيربن كعب'' الذى أسلم بعد ما زال زمنا طويلا يهجوفيه رسول الله ﷺ وقال قصيته الشهيرة ''بانت سعاد'' حيث شبه فيها بجير هذا رسول الله ﷺ بالسيف الهندي، وقال:

سيف من سيوف الهند مسلول

يقول إقبال مشيرا إلى إسلام بجيروشعره:

پیشِ پیغمبر چو کعبِ پاک زاد
ہدیہ آورد از بانت سعاد
در ثنایش گوہرِ شب تاب سفت
سیف مسلول از سیوف الہند گفت
آن مقامش برتراز چرخ بلند
نامدش نسبت باقلیمی پسند
گفت سیف من سیوف اللہ گو
حق پرستی جزبراہ حق مپو[۶۳]

فوهب رسول الله ﷺ بجيرا رداه لمدحه إياه في هذه القصيدة ويقال: بأن سيدنا معاوية بن أبي سفيان قد اشترى منه هذا الرداء وبقي زمنا طويلا عند خلفاء بني أمية ويتبركون به۔

وأما ديوانه ''أرمغان حجاز'' هدية الحجاز فإنه يعد أهم كتاب بمثابة مرجع لموضوعنا كما يظهر من اسمه، وأنه آخر ديوانه، حتى أنه قد طبع بعد وفاته، ولهذا نجدفيه النضج الفكري عند إقبال، وظهر جليا فيه التأثير العربي، وأول مانجد بأن الشاعر يوجه في هذا الديوان حديثه إلى الرسالة الطيبة۔

''ويبدأ إقبال بالحديث عن الرسالة التي انبعثت من قلب الجزيره العربية، ومن هنا ظهر الأثر العربي واضحا جليا فى شعره، الخيمة والرحيل والمحمل--- ألخ، ونرى دقة إقبال في اختياره للألفاظ المناسبة لموضوعه وأفكاره:

هربت مسرعا من هواء القرية المدينة
وفتحت باب القلب لهواء الصحراء

ويقول:

ذهبت به إلى الصحراء فصار أكثر حزنا
وعلى حافة جدول أخذ يبكى بكاء مرا

وها هو بشاعرية ساحرة يطوف بصحراء العرب على ناقته ويقول:

قلت للناقة وقت السحر: تهدى في سيرک
فالراكب مجروح و مريض و عجوز
فسارت تخطو كالسكران حتى أنک تظن
أن رمال الصحراء أضحت تحت قدميها حريراً

ويستمر في حديثه عن الناقة:

شد اللجام لايليق بها أيها الحادي
فروحها بصيرة كروحنا
عيونها السوداندية بالدموع، والخمرالتي تنسک
دوما من موج نظر تها تضئ وتشعل ضميرى

ومن الحديث عن الناقة ينتقل إلى الحديث عن الصحراء وجمالها حيث تمضى القوافل وتتلى الصلوات وتساق المحامل- وهورغم جهله بالنغمات العربية إلا أنه صار شريكاً مع نغمات ناقته التى ترافقه وهو يريد أن يزيد من الغم والتضرعات وطول الطريق-[٦٤]

ونجد إقبال يوجه في حديثه عن أهل الجزيرة العربية في ديوانه هذا تحت عنوان ''يا ابن الصحراء'' فيقول ما ترجمته:

حين هبط النور على الصحراء في الأسحار
غرد طائر على غصن النخيل
إقلع خيامک وارحل با اين الصحراء
فلاحياة دون تذوق الرحيل

ويقول:

جعل الله العرب أدلاء للقوافل
وامتحنهم بفقرهم
لوأن فقر الفقراء ذوحمية

فمن الممكن أن يقلب الدنيا رأسا على عقب
في هذه الليالى يكمن عويل صبح الغد
لأن هذه الليالى منورة بتجليات سيناء
الجسد والروح كلاهما محكم بهواء البادية والصحراء
إن ظهور الأمم يكون من بين الجبال والصحراء[٦٥]

وفي هذا الديوان نجده أنه يضع عنوان بعض الرباعيات ''شعراء العرب'' فيقول فيها ماترجمته:

أخبر عني شعراء العرب
إنى لم أعط للشفاة الحمراء إلا ثمنا قليلا
لقد حولت ليالي مائة و ثلاثين سنة إلى سحر
بالنور الذي أخذته من القرآن[٦٦]

رغم أن إقبال لم يقل شعرا بالعربية لكنه يصرح بأنه يميل إلى العربية، وكان يرغب في تعلمها واجادتها طول حياته، والدليل عليه هو ما قاله في هذا الديوان (هدية الحجاز) ماترجمته:

لقد فتحت الحياة على عينيه
وبينت له حكمة الأمس والغد
فاعط هذا الأعجمي النطق العربي
لكى يستطيع أن يظهر بجلاء أسرار الروح[٦٧]

وتحت تأثير الشعر العربي عارض إقبال بشدة الخروج على التقسيمات العروضية قائلا: ''إننا لو خالفنا قاعدة العروض فإن قلعة الشعر تنهدم، وعلى الشعراء الحاليين أن ينهجوا أسلوب التعمير لا التخريب۔[٦٨]

وكما نجده أنه قد برع في استخدام المفردات العربية في شعره: مثل القافلة، الزمام، المقام، السلسبيل، الخيمة، أوراقة، يثرب وغيرها من الكلمات عربية الأصل، وقد استخدم هذه المفردات في معناها العربية، والدليل عليه قوله ما ترجمته:

صاحب القرآن ماذاق الطلب

العجب ثم العجب ثم العجب

فذكره للعجب هنا ثلاثاً وفي شطر واحد من البيب بالعربية إنما يدل على رغبة في توكيد ما يقول، وهو هنا يميز كلامه العربية ليكسبه الأهمية ويخلع عليه فصاحة لغة الضاد لغة القرآن۔[٦٩]

وحين نطالع آثار إقبال نرى هذه التأثرات العربية واضحة، وبالسعي يجد الواحد كثير امن أمثال هذه النماذج، ليعرف مدى تأثر إقبال بروح العربية و آدابها، وضف إلى ذلک مايكثر من الكلمات العربية ويقصد بها معناها العربي البحت۔

فمثلا استخدام كلمة ''دليل'' بمعنى من يدل الآخرين، وكلمة ''أديب'' بمعنى من يؤدب وكلمة ''طلب'' في السعي عقب شئ وكلمة ''غريب'' في معنى الشئ النادر، وكلمة ''الزحمة'' للضيق، كما يقول:

زحمتِ تنگی دریا سے گریزاں ہوں میں

وسعت بحر کی فرقت میں پریشاں ہوں میں[٧٠]

ما معناه:

أنا أفر من ضيق النهر

وأنا قلق في فراق وسعة البحر[٧١]

فالمعنى لكلمة ''زحمت'' هنا ضيق وحرج وهذا المعنى يؤدى مفهوما أبلغ و أوسع ما لايؤديه أي معنى آخر۔

فعلى كل: نصل من خلال هذه الدراسة المفصلة حول تأثر إقبال بالآداب العربية، إلى نفس هذه النتيجة التي ذكرتها في بداية المقال، بأن الدارس في آثار اقبال و أعماله الآدبية يجد الكثير من الأمثلة الواضحة الدالة على التأثير العربي في ثقافة إقبال، كماثبت من ذلک كله بأن الآداب العربية كانت لها الرئادة في أدب إقبال و ثقافته، من أول ما بدأبه رحلته العلمية إلى آخر لحظة من حياته۔

مراجع

* د، أحمد معوض

العلامة محمد اقبال، حياته و آثار ه ط هيئة الكتاب بمصر۔

* أرنولد: توماس

الدعوة الى الاسلام ترجمة حسن ابراهيم و آخرين ط مصر ۱۹۴۷م۔

* اقبال: محمد اقبال

كليات اقبال الفارسية ط لاهور ۱۹۷۸م

كليات اقبال الأردية ط لاهور ۱۹۷۸م

تجديد الفكر الديني في الاسلام ترجمة عباس محمود ط القاهرة

* أمين الريحاني

نجد وملحقاتها وسيرة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ط مؤسة الريحاني الطبعة۔ الرابعه عام ۱۹۷۰م۔

* جاويد اقبال

زنده رُود ط أولى لاهور ۱۹۸۲م

* جامعة البنجاب (مجموعة من الأساتذة)

تاريخ أدبيات مسلمانان باک و هند جلد سوم فارسي ادب ۱۹۷۲م

تاريخ أدبيات مسلمانان باک و هند جلد دهم اردو ادب ۱۹۷۲م

* د۔ حسن مجيب المصري

الى السماء ط الانجلوالمصرية

اقبال والقرآن ط الانجلو المصرية

اقبال والقرآن ط الانجلو المصرية

هدية الحجاز الانجلو ۱۹۷۵م

روضة السر الجديد ط الانجلو المصرية

* خليل الرحمن عبدالرحمن

محمد اقبال و موقفه من الحضارة الغربية ط دار هراء بمكة ١٤٠٨هـ هجرية

* دـ رفيع الدين هاشمي

خطوط اقبال ط لاهور ١٩٧٦م

* دـ سمير عبدالحميد ابراهيم

اقبال و ديوان ارمغان حجاز ط المكتبة العلمية بلاهور

الأسرار والرموز تحقيق و دراسة ط أولى المكتبة العلمية بلاهور

* سيد چراغ حسن

اقبال نامه ط تاج كمپنى كراتشي

* الصاوي شعلان

مختارات من شعر اقبال ط اسلام أباد ١٩٧٤م

الأنشودة العربية ط طهران ١٩٦٨م

شكوى وجواب شكوى ط القاهرة ١٩٧٣م

* دـ ظور أظهر

اقبال العرب على دراسات اقبال المكتبة العلمية بلاهور

* دـ عبدالوهاب عزام

محمد اقبال سيرته و شعر و فلسفة بيروت ١٩٧٢م

اقبال في مسجد قرطبة ط جدة ١٩٥٥م

الأسرار والرموز ط القاهرة ١٩٥٥م

ضرب كليم ط القاهرة ١٩٥٢م

بيام مشرق ١٩٥١م

* دـ عدنان النحوي

الأدب الاسلامي ط الانيه ١٤٠٧م هجريةدار النحوي بالرياض

* عمر بهاء الدين الأميرى

اقبال والزبيري ط السفارة الباكستانية بالرياض وجدة

* محمد حسن الأعظمي والصاوي شعلان
فلسفة اقبال والثقافة الاسلامية في الهند وباكستان ط دمشق ١٩٧٥م
الحياة الموت في فلسفه اقبال ط كراتشي ١٩٧٤م
* محمد حمزة فاروقى
سفر نامه اقبال ط لاهور
* نجيب الكيلاني
اقبال الشاعر الثائر ط دمشق مؤسسة الرسالة ١٩٨٠م
* الندوي، أبو الحسن
روائع اقبال ط الكويت ١٩٧٨م
* يوسف سليم چشتي
شرح بانک دراط لاهور عشرت ببليكيشن هاؤس
شرح ضرب كليم ط لاهور نفسه
شرح أسرار خودي ط لاهور ط ۴ نفسه
شرح رموز بيخودي ط لاهور
شرح جاويد نامه ط لاهور
شرح ارمغان حجاز ط لاهور

هوامش

۱ اقبال، محمد، علامه (دكتور)، **كليات اقبال** (اردو)،ص:۲۸۲، والترجمة من الأعمال الكاملة: لدكتور حازم محفوظ۔ ص:۲۵۹۔

۲ عزام، عبد الوهاب الدكتور، محمد اقبال: سيرته وفلسفته و شعره، ص۱۰۔

۳ المرجع السابق، ص۱۷۔

۴ نجيب الكيانى، إقبال الشاعر الثائر، ص۴۔

٥ عزام، محمد إقبال: سيرته وفلسفته، ص:١٩ـ

٦ الندوي، لأبي الحسن علي الحسنى، روائع إقبال: ص:٤١ـ

٧ المرجع السابق، ص٤٤ـ

٨ المرجع السابق، ص٢٢ـ

٩ عزام، محمد إقبال: سيرته وفلسفته ، ص:٢٣ـ

١٠ الندوي، روائع إقبال، ص٢٣ـ

١١ عزام، محمد اقبال: سيرته و فلسفته، ص ٢٩ـ

١٢ المرجع السابق، ص:٣٢ـ

١٣ اقبال، محمد، علامه (دكتور)، **كليات اقبال (فارسی)**،ص:٨٩٤

١٤ عزام، محمد إقبال: سيرته وفلسفته ، ص:٤٤ـ

١٥ للثعالبي، فقه اللغة، ص:٢ـ

١٦ المرجع السابق، ص: ٢ـ

١٧ الآوسى، الدكتور حكمت، التأثير العربي في الثقافة الأسبانية، ص:١٥ـ

١٨ المصرى، دكتور حسين مجيب، إقبال والعالم العربي، ص:٩ـ

١٩ عبد القادر، سر، مقدمة بانگ درا، ص:٣٠ـ

٢٠ المصرى، إقبال والعالم العربي، ص:١٤ـ

٢١ سمير، عبدالحميد ابراهيم الدكتور، إقبال والعرب، ص:٣٧١ـ

٢٢ اقبال، محمد، علامه (دكتور)، تجديد الفكر الديني في الإسلام: ترجمة إحسان عباس، ص:١١٨ـ

٢٣ اقبال، محمد، علامه (دكتور)، **كليات اقبال (اردو)**، ص:٣٨–٣٩ـ

٢٤ المرجع السابق، ص: ٢٨٢ـ

٢٥ المرجع السابق، ص: ١٧٠ـ

٢٦ سمير، إقبال والعرب، ص:٣٧١ـ

٢٧ اقبال، محمد، علامه (دكتور)، **كليات اقبال (اردو)**،ص:١٧٥ـ

٢٨ لقب سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ـ

٢٩ اقبال، محمد، علامه (دكتور)، **كليات اقبال (اردو)**،ص:٢٨٣

۳۰ تاریخ أدبیات مسلمانان پاک و هند، ج:۱۰، ص:۶۰۔
۳۱ المرجع السابق،ص:۳۶۱۔ولم أعثر على المصدر الأصلي للبيت۔
۳۲ اقبال، محمد، علامه (دکتور)، **کلیات اقبال(فارسی)**،ص: ۴۲۰۔
۳۳ المرجع السابق، ص: ۶۴۳
۳۴ المرجع السابق، ص: ۶۴۴۔
۳۵ محفوظ، الدکتور حازم، الأعمال الکاملة: ص:۳۸۴۔
۳۶ المرجع السابق، ص:۳۳۹، ۳۴۰، ۳۴۳
۳۷ المقری، أحمد بن محمد، نفح الطیب من غصن الأندلس الرطیب، ج۲، ص۱۷۰۔
۳۸ الحمدانی، أبو فراس، الرومیات، ص۹۱۴۔
۳۹ الأعمال الکاملة، ص: ۳۴۴۔
۴۰ شکیب أرسلان، الحلل السندسیة فی الأخبار والآثار الأندلسیة، ج۱، ص۱۲۷۔
۴۱ اقبال، محمد، علامه (دکتور)، **کلیات اقبال(اردو)**،ص: ۳۹۲۔
۴۲ الأعمال الکاملة، ص: ۳۴۳۔
۴۳ المرجع السابق، ص: ۳۴۴۔
۴۴ اقبال، محمد، علامه (دکتور)، **کلیات اقبال(اردو)**،ص:۳۸۹۔
۴۵ النویري، نهایة الأرب في فنون العرب، ص۹۷۔
۴۶ وللمزید راجع الأعمال الکاملة، ص:۳۴۵۔
۴۷ المرجع السابق، ص:۳۵۲
۴۸ سمیر، إقبال و أرمغان حجاز، ص:۲۲۴–۲۲۵۔
۴۹ عزام، دیوان الاسرار والرموز، ص:۱۸
۵۰ اقبال، محمد، علامه (دکتور)، **کلیات اقبال(اردو)**،ص:۱۰۲۔
۵۱ عزام، دیوان الاسرار والرموز، ص:۹۷۔
۵۲ الأعمال الکاملة، ص:۳۵۱۔
۵۳ الثعالبی، أبو منصور، یتیمة الدهر في محاسن أهل العصر، ج۳، ص۲۱۸۔
۵۴ اقبال، محمد، علامه (دکتور)، **کلیات اقبال(فارسی)**،ص: ۹۴۴۔

[٥٥] المرجع السابق، ص: ٤٠٤

[٥٦] الأعمال الكاملة، ص:٣٥٢-٣٥٣.

[٥٧] المعرى، ابو العلاء، رسالة الغفران ، ص:٦٧-٧٠.

[٥٨] اقبال، محمد، علامه (دكتور)، **كليات اقبال (فارسى)**،ص٨٨٩.

[٥٩] الأعمال الكاملة

[٦٠] ديوان امرئ القيس

[٦١] اقبال، محمد، علامه (دكتور)، **كليات اقبال (اردو)**،ص: ٢٨٥.

[٦٢] اقبال، محمد، علامه (دكتور)، **كليات اقبال (فارسى)**،ص:٨٣٧.

[٦٣] اقبال، محمد، علامه (دكتور)، **كليات اقبال (فارسى)**،ص: ١١٢-١١٣.

[٦٤] سمير، إقبال و ديوان أرمغان حجاز، ص:١٣٨.

[٦٥] المرجع السابق، ص:٢٢٤-٢٢٥.

[٦٦] المرجع السابق، ص:٢٢٢.

[٦٧] المرجع السابق، ص:١٩٣.

[٦٨] المصرى، إقبال والعالم العربي، ص:٣٧٣.

[٦٩] سيد چراغ حسن، إقبال نامه، نقلاعن: إقبال العالم العربي، ص:٣٧٥.

[٧٠] اقبال، محمد، علامه (دكتور)، **كليات اقبال (اردو)**،ص: ٦٢.

[٧١] الأعمال الكاملة، ص:٧٩.